

العنوان:	الصراع الروسي العثماني تهجير الشركس وأثره على التدهور الديمغرافي : دراسة على القرن 19 م
المصدر:	مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية
الناشر:	جامعة نواكشوط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	محمد، أحمد صالح علي
المجلد/العدد:	ع34
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الصفحات:	126 - 142
رقم MD:	967025
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الصراع الدولي، الإمبراطورية العثمانية، الإمبراطورية الروسية، الشركس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/967025

الصراع الروسي - العثماني
تهجير الشركس وأثره على التدهور الديمغرافي
دراسة على القرن 19م

د. أحمد صالح علي محمد
باحث، مصر

المقدمة:

ليكن مدخلنا إلي هذا الموضوع هو تلك الأزمات التي تعرضت لها الدولة العثمانية خاصة الاجتماعية منها، حيث تراكمت وأثرت على الطابع العام للسكان داخل الدولة العثمانية، وبمعني آخر أن كل ما يؤثر على الدولة من أزمات في الهجرة السكانية يحدد بها أعداد السكان المهاجرين على حسب الأزمة الواقعة، خاصة الهجرة القسرية للشراكسة للأراضي العثمانية.

وقد بدء الصدام والحروب الفعلية المستمرة بين الروس - الشركس، بأول صدام قوي بين القيصر بطرس الأكبر⁽¹⁾ وبين الشراكسة في عام 1722م، وكان القوات الروسية مكونة من 442 سفينة تحمل 22 ألف جندي من القوات البرية وخمسة آلاف من القوات البحرية بالإضافة إلي عشرة آلاف من المتمركزين في قلعة كزلار، وقد دارت هذه المعارك في بلاد الداغستان وحوض بحر الخزر، إلا أن الفشل كان من نصيب الروس في هذه المعارك رغم أنهم قتلوا العديد من الشراكسة⁽²⁾ ويعود ذلك للطبيعة الشركسية القوية ذات الطابع الحاد والرد العنيف على أي معتدي.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، حتي قامت محاولات أخرى منها ما قام به الأمير هامبورسكي قائد قوات الجيش الروسي في المنطقة، حيث حاول التقدم إلي وسط القفقاس إلا أن تضحية الشراكسة والشيشان في مناطق مزدوك، منعته من التقدم، إلا أنه بعد وفاة القيصر بطرس ضعفت سيطرة روسيا على هذه المناطق واضطرت أخيرا إلي إخلائها في عام 1735م وقد كان شئ مؤقت حتى تستجمع روسيا القيصرية قوتها بعد وفاة بطرس الأكبر.

وعلى أية حال، فعندما تبوأ كاترينا الثانية عرش القيصرية في روسيا (1763م) صممت على تنفيذ وصية وخطة بطرس الأكبر لبعث الإمبراطورية الشرقية والوصول إلي الأستانه (استانبول) والبحر الأبيض المتوسط، حيث بدأت جيوشها بالتحرش بالأتراك واتباعهم أمراء القرم⁽⁴⁾، وبينما كانت الجيوش الروسية تحرز الانتصارات على العثمانيين والإمبراطورية الروسية تملئ شروطها على الأتراك في معاهدة كوجاك كاينارجه، يصطدم المشروع الروسي الخطير بمانع قوي مفاجئ وغير منظر تتوقف الجحافل الروسية الظافرة في شبه جزيرة القرم والسهول الشمالية أمام مقاومة القفقاسيين العنيفة التي تدهش الروس، وقد دامت المقاومة القفقاسية للروس قرنا كاملا (1763 - 1864م)، وقد تمركزت المقاومة في الشراكسة في الغرب والداغستان في الشرق وهم شهيرين بالصفات العسكرية الرفيعة وهم الذين قادوا الدفاع ضد الروس⁽⁵⁾.



وتشير الدلائل إلى أن روسيا القيصرية قد بدأت في سياسة الانتشار داخل المناطق التي يسكنها الشركس (المناطق الزراعية الخصبة)، ومنذ ذلك الوقت أنهى هذا الصداقة والولاء الذي كان يربط بعض زعماء الشركس بالدولة لعثمانية، حتى أنهم حاربوا إلى جانب العثماني في حربهم ضد الروس، والتي جرت بنيتهم في منطقة القرم في الفترة ما بين (1768-1774م) وانتصر الروس في المعركة وعقدت معاهدة قينارجة الصغرى عام 1774م، وتم سلخ منطقة القرم من الدولة العثمانية، وأعطيت منطقة القبرطاي لروسيا، إن هذه المعاهدة وما جري بعدها يعتبر بداية عهد الظلام بالنسبة للشراكسة إذ أن استقلال القرم لم يدم طويلا، حيث تمكنت روسيا من احتلالها عام 1783م بقيادة الجنرال بوتومكين، و سيطرة روسيا على القرم كان لاشك بداية النهاية للشعب الشركسي عام 1864م⁽⁶⁾.

ظل الصراع القائم بين الشراكسة - والروس لفترة طويلة، وظلت الممارسات الروسية ضد الشركس من تهذيب و (تعذيب) وقتل وطرده من أراضيهم وتشريدتهم، لكن الشركس كان لديهم صمود بسبب المقاومة العجيبة التي مارسوها ضد الروس، لتمتعهم بصفات حربية وراثية تتسم بالنبالة والشعور بالإنسانية، ففاضلوا من أجل الوطن.

ويذكر المؤرخ الألماني بالاس الذي زار الحكومات الجنوبية للإمبراطورية الروسية بين عامي (1793 - 1794م)، وبصفته صديقا لكاترينا الثانية يقول : ومن المستحسن إذا أن تجعل من أفراد هذا الشعب اتباعا مطيعين للإمبراطورية الروسية بدون أن تقللي من قيمتهم المحيرة، وسوف تملكين عندئذ بدون اعتراض أبسل وأدهش خياله عفيفة شوهدت في ساحة الحرب بزمان من الأزمان⁽⁷⁾. لكن

لم تتحقق تلك الأمنية التي تمنّاها المؤرخ الألماني، وهاجم الروس الشركس لمدة طويلة حوالي قرن من الزمان.

واستمر الرفض الشركسي للروس، بالمقاومة لمدة طويلة رغم عدم وجود تشكيلات عامة لديهم، ويعود ذلك لشعورهم بالواجبات الاجتماعية التي تشعرها بقوة فائقة لكل فرد من أفرادهم كل ذلك في سبيل البطولة والشجاعة، بطولية لا تقف عند اضعاف قوي الأعداء وتوقيفهم عند حدهم وحسب بل تنبعث من رمادها نخبة جديدة من الأبطال⁽⁸⁾.

ولا نزاع في أن الدولة العثمانية قامت بمساعدة الشركاسة عام 1790م، حيث قام العثماني بالاتفاق مع الشركاسة على تجهيز جيش مشترك لضرب القوات الروسية، وانهزم الروس في بداية الأمر، لكن وبسبب الخيانة من قائد الشركس بطل باشا الذي نهب 800 كيس من الذهب ولجا إلي روسيا، وعلى الرغم من ذلك استمر الشركس في المقاومة لكن في النهاية انتصرت القوات الروسية⁽⁹⁾. وقد تقدمت الجيوش الروسية في مايو عام 1804م مكتسحة القرى الشركسية، فعملت على هدم وإبادة 80 قرية شركسية، غير أن القتال والمقاومة زاد من شراسة الشركاسة وعنادهم، وفي عام 1810م قامت الجيوش القيصرية بالهجوم واحرقوا ما يقارب على 200 قرية وقتلوا عشرات الآلاف من الشركس، وقد استمر تدفق القوات الروسية، أعوام 1818م، 1821م و 1822م، وواصل الشركاسة الحرب لفترة طويلة واستمر الروس في عنفهم، وقاموا بتجريد الأمراء الشركس من سلطانهم وإنفاضة مهمات الإدارة إلي المحاكم العرفية، وارتبط تصديق الأحكام الصادرة عنها بممثل القيصر، وكنتيجة طبيعية لكل تلك الأحداث لم يبق في منطقة القبرداي من أصل 300,509 ألف شركسي سوى 35 ألف فقط، وفي عام 1822م أصبحت منطقة القبرداي بالكامل تحت السيطرة الروسية⁽¹⁰⁾. وعلى ذلك فقد أصبح الشركس مهددين في شركسيا المطلة على البحر الأسود، فالحرب تنذر بهجرة مروعة.

ومن الملاحظ أن الدولة العثمانية قد انشغلت عن الشعب الشركسي، بسبب حروبها مع روسيا عام (1828 - 1829م) وقد قامت القوات الروسية بهزيمة الشركس، وإرسال الروس لهم طلبات للخضوع الكامل دون قيد أو شرط، وهدد الروس بأنه وفي حالة الرفض فإنهم سيلجئون إلي القوة العسكرية⁽¹¹⁾.

وزاد من الأمر سوء بأن أعلنت روسيا الشركاسة أن الدولة العثمانية قد تنازلت عنهم وعن أراضيهم لروسيا وإنهم الآن أتباع القيصر الروسي، وعلى الجانب الآخر فقد أرسل الشركس عام 1830م وفد للدولة العثمانية للمطالبة بالمساعدات، وقد أعلنت الحكومة العثمانية للوفد الشركسي أنه إذا اعترف الشركاسة بتبعيةهم للسلطان، فإن السلطان لن يسمح بوقوع أتباعه في أيدي الكفار، لكن الشركس لم يقبلوا بالتبعية خوفا من بطش الروس بهم⁽¹²⁾.

وأعاد الشركس الكره مرة أخرى بإرسال وفد للدولة العثمانية عام 1833م، وكانت مهمته هذه المرة هي استيضاح الموقف الحقيقي للدولة العثمانية من مساعدتهم للشراكسة، وأثناء وجودهم في استانبول استقبلهم القنصل الإنجليزي والذي وعدهم بالدعم في الصراع ضد روسيا، وكانت روسيا وقيادتها العسكرية تفهم تماما أن معاهدة أدرنة كانت فقط حبرا على ورق ولا يريد الشراكسة أن يعترفوا به، بعد أن تركت لهم الدولة العثمانية اليد نهائيا في القفقاس بموجب معاهدة أدرنة، لذلك فروسيا على يقين أن إخضاع الشركس لم يكن ليتم إلا بقوة السلاح، كما ذكرنا من قبل بالعمليات الحربية ضد الأراضي التي يعيش بها الشركس⁽¹³⁾.

وبعد فشل الشركس في الحصول على دعم الدولة العثمانية، اقترح الشركس على روسيا القيصرية إنشاء علاقات يريدون من خلالها حسن الجوار، لكن روسيا تجاهلت مقترحات السلام الشركسي، وبعد وصول الإمبراطور نيقولا الأول إلي الحكم قام بأمر جنرالاته بزياد الأعمال الحربية للقوات الروسية وخصوصا على شواطئ البحر الأسود، وبالفعل وفي عام 1838م قامت البحرية الروسية بأربع عمليات إنزال للقوات على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود⁽¹⁴⁾. وذلك للتضييق على الشركس ومنع أي مساعدات تأتي لها عن طريق الدولة العثمانية.

ونتيجة لهذه المضايقات الروسية وحصارهم لسواحل البحر الأسود المطلة على بلاد الشركس، قلة المحاصيل وحدثت المجاعات عام 1839م، ويزيد على ذلك الجفاف وشدة البرد وعدم وجود المحاصيل زادت شدة المجاعات على الشركس، مما جعلهم كالأسود الجريحة يهاجمون الروس بكل ما لهم من قوة، حيث استمر القتال على خط شاطئ البحر الأسود الشركس طوال أربعينات القرن 19م⁽¹⁵⁾.

وعلى غرار تلك الفترة خاض الشراكسة والروس أكثر من 88 معركة على شواطئ البحر الأسود، ساءت أمور القوات الروسية مما وضعها في موضوع سيئ أثناء حرب القرم (1853 - 1856م)، ليس ذلك وحسب بل خافت روسيا من تدخل إنجلترا وفرنسا أيضا مع الشركس كما فعلوا مع العثمانيين، لكن إنجلترا وفرنسا وقفت على الحياد من الأزمة الشركسية⁽¹⁶⁾. مما زاد الأزمة الشركسية - الروسية تعقيدا وبعد انتهاء حرب القرم عام 1856م بانتصار الحلفاء (الدولة العثمانية - إنجلترا - فرنسا) على روسيا، أعلن الشركس إقامة مجلس وطني لإدارة شؤونهم، وتم إعلان الجهاد المقدس عام 1860م، وتم إرسال السفارات إلي كل من استانبول وباريس ولندن، للمطالبة بتقديم المساعدات للشراكسة للمقاومة، وأدى ذلك في النهاية إلي اشتداد المعارك بين الشراكسة - والروس - ونتيجة لذلك بدأت الهجرة⁽¹⁷⁾.

وعند الحديث عن الهجرة فيجب ذكر أولا : تهجير الشركس داخليا، فقد سكن الشركس مناطق الوديان ذات الأراضي الخصبة، وعند تهجيرهم قامت روسيا بعمليات تهجير قسري إلي مناطق المستنقعات

التي يصعب العيش وتوفير الغذاء اللازم فيها مما أضر بالشركس نفسيا ومعنويا وانتشار الأمراض والمجاعات⁽¹⁸⁾.

وثانيا : تهجير الشركس إلي الأراضي العثمانية، والجدير بالذكر هنا أن روسيا قامت بتخيير الشراكسة بين التوجه إلي المستنقعات وبين التهجير القسري إلي أقرب مكان، ولأن أقرب مكان بموجب جغرافية المكان، حيث يطل على البحر الأسود فأول مكان هو الأراضي العثمانية⁽¹⁹⁾.

أظهر الروس منذ البداية الوجه الأسود في معاملتهم لكل الشعوب الموالية للدولة العثمانية، حيث قامت بتهجير كل من هو مسلم سواء في البلقان، وشبه جزيرة القرم وبلاد الشركس⁽²⁰⁾. ويتضح هنا أن روسيا تعاملت معهم بسياسة الموت البطيء، حيث اضطهدتهم واتبعت طرق همجية اتجاههم وهجرتهم قسريا عن أراضيهم.

وعلى أية حال، فقد هرب سكان القفقاس إلي الدولة العثمانية، حيث مرت هجرتهم القسرية بعدة مراحل متتالية وهي على النحو التالي :

المرحلة الأولى : بدأت هجرة الشركس في خمسينات القرن 19م، وقد ربطه الشعب الشركسي بالدولة العثمانية علاقات سياسية، دينية، تجارية⁽²¹⁾.

المرحلة الثانية : بين عامي (1861، 1862م).

المرحلة الثانية : بين عامي (1863 - 1864م) وهي مرحلة الذروة في الهجرة القسرية للشركس.

المرحلة الرابعة : بين عامي (1864 - 1870) استمرت الهجرة بشكل منقطع حيث عانى الشركس كثيرا في الهجرة⁽²²⁾.

والجدير بالذكر ، أنه قد تم عقد اتفاق بين العثمانيين والروس بأن لا تمنع روسيا من يريد الهجرة من الشراكسة عنه ومن أراد البقاء سيحصل على الأراضي في الأماكن التي نريدها نحن، إلا أن الروس وفي بيان تم إصداره في يونيو عام 1864م " على سكان بلاد الشركس أن يغادروا أماكنهم خلال شهر واحد من تاريخ هذا البيان، وفي حالة عدم تركهم يعتبرون أسري حرب، وسينقلون إلي سيبيريا، فبدأت عملية التهجير الكبرى، ولكن وحسب رواية الكثير من المؤرخين والباحثين لم يصل إلا نصف المهجرين إلي الأماكن التي كانوا يقصدونها، بسبب المجاعة والأمراض وغرق السفن التجارية⁽²³⁾.

ويتضح الوصف الكامل للمجازر الروسية في القفقاس، بعدما ذكرها الكونت ليونولستوي (count leo Tolstoy) الذي شاهد بنفسه المجزرة في القفقاس لقرى المسلمين " جرت العادة أن تهاجم القرى في أثناء الليل، بسبب المباغته، لا يتسنى الوقت للنساء والأطفال للفرار، وكان الرعب الذي تلا تحت جناح الظلام حين اقتحم الجنود الروس البيوت بمجموعات مؤلفة من اثنين وثلاثة شديدا إلي حد لم يجرؤ أي معلق رسمي على وصفه"⁽²⁴⁾.

وبعد أن استولت روسيا على قرى الشركس، سلم هؤلاء أنفسهم اسري، قتل هؤلاء جميعا على أيدي القوات الروسية، كانت من ضمن الضحايا امرأتان بحالة متقدمة من الحمل وخمسة أطفال، وبينما

القوات الروسية تحرز تقدماً على سواحل البحر الأسود، ولم يسمح للسكان الأصليين (الشركس) بالبقاء هناك بأي حال من الأحوال، لكنهم كانوا مُكرهين على إما أن ينقلوا أنفسهم إلى مناطق المستنقعات والجبال الوعرة أو أن يتم تهجيرهم إلى الدولة العثمانية⁽²⁵⁾.

وبالفعل سيق الشركس إلى موانئ البحر الأسود، انتظروا وسط أوضاع موحشة، بتلك الخسارة الكبيرة في الأرواح، ووجدت القوارب العثمانية لتنتقلهم إلى طربزون⁽²⁶⁾ أو سمسون، حُرِمَ وطنهم السابق من سكانه، ليجري ملؤه بالمهاجرين القادمين من روسيا السلافية، روي أن المرء يمكن أن يسير يوماً كاملاً في أجزاء من القفقاس كانت مأهولة في السابق من دون أن يلتقي بشخص حي، لم يُخف الروس خطتهم وطرائق تنفيذها، في النهاية استوطن السلاف ومسيحيون آخرون في أكثر الأراضي الشركسية خصوبة⁽²⁷⁾ واستمر الروس في مطاردة الشركس، حيث قام الجنود الروس بحرق البيوت، وسرقوا الماشية والأمتعة الأخرى، وتركوا للشركس ما يكاد يكفي للعيش، واعتبر الروس في فرض النزوح لا يخلصوا أقاليم قيمة من سكانها المسلمين فحسب، بل ليربكوا الحكومة العثمانية التي على سواحلها عدد كبير صامت من إخوة في الدين جائعين ومُعدمين، فتعترف بعجزها عن فعل شيء لهم⁽²⁸⁾. ويتضح هنا أن روسيا كانت تمارس كل الضغوط لإثارة الأزمات بكافة أنواعها وأشكالها داخل الدولة العثمانية سواء كانت الاقتصادية أو الاجتماعية.

ومن المفارقات هنا، فالمصلحة تقتضي أن الروس منعوا هجرة بعض التجار الشركس، حتى يستفيدوا منهم في اقتصاد المنطقة، وتم فرض الهجرة على المسنين والنساء والأطفال، والاحتفاظ بالرجال ذوي البنية القوية الضروريين للاقتصاد واستخدامهم في العمل القسري، ولا يعرف العدد الدقيق لهؤلاء الذين جري الاحتفاظ بهم، وذكر القادة الشركس أن عدة آلاف اجبروا على البقاء، بينما أجبرت أسرهم على الرحيل، ومن المؤلم جداً مشاهدة الإنقراض، في ذاته لأمة كانت جريمتها الوحيدة أنها ليست مسيحية وليست روسية⁽²⁹⁾.

والجدير بالذكر هنا أن روسيا خصصت بعض الأموال للمهاجرين لكن محدودة جداً، فقد صرفت على تهجير الشركس 678، 289 روبلا و 17 كبيك لأصحاب السفن من أجل نقل المهاجرين، وحتى هذا المبلغ الزهيد لم يصل إلى المحتاجين، لأن هذا الأمر مثل غيره من الأمور التي حدثت في القفقاس ذهب دخلاً لكبار الموظفين الروس، حتى أن اللجنة الرسمية المدققة لحسابات هجرة الشركس وجدت الكثير من الإيصالات المشتبه بها، وتعطي الروايات المحلية التي بقيت في ذاكرة السكان الروس فكرة مرعبة، وتقول إحدى هذه الروايات أن أكثرية المراكب المثقلة بالشركس كان قعرها مثقوباً، فعندما دخلت عباب البحر غرقت بالمهاجرين، أما النقود المخصصة لنقلهم فلقد بقيت في جيوب الأشخاص المسؤولين، وقد ذكرت السجلات الرسمية للروس أن غرق تلك المراكب يرجع إلى قيام العواصف فغرقت تلك المراكب⁽³⁰⁾. ويتضح مما سبق أن روسيا استخدمت تلك الإجراءات كدعاية لها، وفي نفس الوقت للتخلص من أكبر عدد ممكن من الشركس المهاجرين غرقاً في عرض البحر دون رحمة.

وعلاوة على ما تقدم فقد توجه الشركس إلى الأراضي العثمانية، بسبب الوعود الضخمة التي كان المندوبون والمشايع العثمانيين يروجون لها، لقد ترك الشركس مساكنهم وقطعان المواشي واحتياطي الحبوب ومزروعات الحبوب غير المحصورة أحياناً، وبقي كل هذا للروس، وتجمع الشركس في ميناء اناباونوفوروسيسك⁽³¹⁾، وفي الموانئ الصغيرة للساحل الشرقي للبحر الأسود الذي لم يحتلها الروس بعد، وقد نقلت السفن اعداد كبيرة لكن لم تكن كافية لنقل نصف مليون نسمة، لذا فقد انتظر الكثير منهم مدة نصف عام أو عام أو أكثر، وفي خلال هذه المدة كلها بقوا على شاطئ البحر الأسود تحت رحمة السماء دون أية موارد معيشية، ولقد مات الآلاف منهم من الجوع والمرض معاً، وكان الساحل الشرقي الشمالي كله للبحر الأسود مزروعا بجثث الموتى وأصبحت أجسام الذين ينازعون الموت ضعيفة واهنة جداً، مع ذلك وانتظروا نقلهم إلى الدولة العثمانية⁽³²⁾.

وهناك كثير من الجدل بخصوص أعداد الشركس وآخرين طردوا من أراضيهم في القفقاس، لم تُجرَ إحصاءات دقيقة للشركس، لذلك لا يستطيع المرء معرفة عدد الذين رحلوا، حيث ذكرت بعض التقارير الروسية، أنه منذ عام 1858م وحتى عام 1865م 493,194 سنة، كما هاجر عدد كبير دون معرفة الإدارة الروسية، لم تتضمن الإحصائيات الرسمية⁽³³⁾، وتشير بعض التقارير الأخرى، أنه من المعقول القول أن ما يقرب من 1,2 مليون شركسي هجروا الأراضي التي فتحها الروس؛ عاش منهم ما يقرب من 800,000 نسمة⁽³⁴⁾.

وتشير بعض الإحصاءات الأخرى عن هجرة الشركس إلى أنه وفي عام 1864م وصل الأراضي العثمانية 522 ألفاً من الشركس المسلمين، ثم مليون على الأقل عام 1866م، فقد وصل الكثير منهم بعد أن ركبوا السفن في الموانئ الروسية إلى مناطق الدانوب، وبحلول عام 1876م استقر حوالي 600 ألف من الشركس في أنحاء الولايات البلقانية، وفي نهاية الحرب العثمانية - الروسية عام (1878م) وصل مجموع المهاجرين الشركس إلى حوالي مليون ونصف المليون استقروا في الدولة، وهاجر مليون نسمة أخرى عام 1881م⁽³⁵⁾ وبصرف النظر عن تضارب الأعداد والإحصائيات إلا أن العبء كان ثقیل على الدولة العثمانية، وزاد ذلك من الأزمة المالية وأزمة توطيئهم.

وتشير الدلائل أنه وبسبب الأعداد الكبيرة للشركس والازدحام الشديد وعدم كفاية الطعام كان سبباً لحدوث أهوال كبيرة وعند وصولهم إلى الدولة العثمانية صدمهم الواقع، وقد استقبل العثمانيين الشراكسة باهتمام، فقد كان أكثر المهاجرين الشراكسة من الأسر الغنية، وعند وصولهم إلى الأراضي العثمانية لم يكونا بحاجة إلى مساعدة من الحكومة العثمانية، وبالإضافة إلى ذلك وبعد ارتفاع عدد المهاجرين إلى مئات الآلاف فإن الحكومة لم تكن لديها إمكانيات استقبالهم وإسكانهم ومساعدتهم وإطعامهم فوضعهم على الشاطئ العثماني للبحر الأسود ولم تقدم لهم أية مساعدة مادية، ولم تكن هناك أوامر تتعلق بآماكن استقرارهم وسكنهم ولهذا فقد ظلوا معسكر كبير على الشاطئ نفسه ولمدة

طويلة بدون أية موارد وفي مثل هذه الظروف الفظيعة ظل الشركس على الشاطئ، دون حراك من قبل الإدارة العثمانية لفترة طويلة⁽³⁶⁾. مما يوضح الوضع القاسي والمؤلم الذي عاش فيه الشركس لفترة ليست بقصيرة على الشاطئ العثماني ، دون أدنى مسئولية من الجانب العثماني لوضع حلول اللازمة الاجتماعية الراهنة لمحاولة استيعاب تلك الأمة الشركية التي تظهر على تلك الشواطئ كالأسد الجريح الذي لا يلقي من يحنو عليه ويهتم به وقت الأزمة.

والسؤال هنا : هل ستظل الدولة العثمانية مكتوفة الأيدي، بل وتتجاهل الضامة الكبرى في وجود الشركس على شواطئ البحر الأسود ؟

الاجابة هنا، نعم وذلك بسبب الحروب والثورات و التمرد والعصيان التي كانت تعيش فيه الدولة طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فهي قد تغض الطرف عن دون قصد اتجاه أزمة الشركس، وتعرضهم الدائم لسوء تغذية والإصابة بأمراض الأغلب منها مُعدي وشديد الفتك بأمكانهم (المخيمات) على شاطئ البحر الأسود.

وتشير الدلائل وبعد الاطلاع على الرسالة المسجلة بتاريخ 10 يوليو 1864م التي كتبها القنص الروسي في طرابزون إلي روسيا : لقد وصل إلي باطومي حوالي 6 آلاف شركسي ويموت منهم يوميا سبعة أشخاص، وفي طرابزون نزل 247 ألف مهاجر توفي 19 ألف شخص منهم، كل يوم بين 180 - 250 شخصا، وفي سمسون والمناطق المحيطة كان قد نزل 110 آلاف شخص، وكان يتوفي منهم يوميا حوالي 200 شخصا، ومن أصل 4650 شخص متوجهين من طرابزون إلي استانبول وقرانا كان يتوفي يوميا 40 - 60 شخصا، ومنذ بداية الهجرة وحتى مايو 1864م (توفي) 30 ألف شخص من الذين وصلوا إلي طرابزون وقد وجد الشراكسة أنفسهم في مثل هذه الأوضاع الفظيعة في بلاد الدولة العثمانية التي ظنوها الجنة سابق⁽³⁷⁾.

أضف إلي ذلك، أن المرض الذي أدي إليه سوء التغذية أسوأ عدو للشركس الذين طردوا من بيوتهم، حُشر الشركس في شريط ضيق على سواحل البحر الأسود، ولم تقدم لهم مساعدة أو مؤن، وعند أول مرفأ (طرابزون) لقي عدد كبير منهم حتفه بسبب الجدري و التيفوس والإسقربوط⁽³⁸⁾، وقد ساهم أولئك الذين هبطوا موانئ أخرى، كسمسون وسينوب بوفيات مماثلة⁽³⁹⁾.

وعلى الجانب الآخر، وبعد سقوط شركيسيا عام 1864م ، وبدء عملية التهجير القسري للشركس، أخذت السلطات الروسية بالبدء بعملية الترويس وهي إحلال الفكر والهوية الروسية مكان الفكر والهوية الشركسية، وصبغ مناطق الشراكسة بصبغة روسية كاملة، وكانت إحدى الوسائل لتحقيق ذلك فرض مجموعات أو قيادات موالية لسلطات الاحتلال فكان يتم مدها بالقوة والمال لكي تتمكن هذه المجموعات من تبوء مراكز القيادة في المجتمعات الشركسية وما أن تصل لهذه المراكز حتى تبدأ بالعمل على تحقيق مصالح من وضعها، وهذا يفسر قيام السلطات الروسية بتهجير وقتل والتكثير بالزعامات القومية التي رفضت التعاون معها، سواء في الماضي أو الحاضر⁽⁴⁰⁾. ولا نزاع

في أن الروس لم يستطيعون التأقلم والعيش في الأماكن التي كان يسكنها الشركس، حتى أنهم لم يستطيعوا زراعة الأراضي ولا تربية الحيوانات.

ونتيجة لما سبق ذكره ، فمنذ منتصف الستينات من القرن 19م تغيرت نظرة السلطة الروسية في القفقاس إلى مفهوم الهجرة الشركسية، فساد التنبؤ بأنه بهذه الطريقة ستتحول الأراضي الشركسية إلى صحراء قاحلة، ولهذا فإن السلطات الروسية بدأت تعرقل هجرة الشركس إلى الدولة العثمانية، وفي عام 1867م منعت هجرتهم إلى خارج البلاد منعاً باتاً، مع هذا فلم تتوقف الهجرة لدى الشركس فقد هاجر عام 1872م عدة مئات من الأسر الشركسية، ولكن وعند مطالبة بعد الأشخاص في نفس العام بالهجرة لم يسمح لهم الروس وبقوة السلاح⁽⁴¹⁾، وحتى يتغلب الشركس على هذه القيود، وفي عام 1873م قامت أكثر من 150 أسرة بتقديم جوازات سفرهم لزيارة مكة والمدنية، لكن روسيا قد أبلغتهم بأنه عند مغادرتهم الحدود الروسية لن يسمح لهم بالعودة، وهذا ما كان يريده ويرجوه الشركس في هجرتهم داخل الأراضي العثمانية⁽⁴²⁾.

وتأتي هنا المشكلة الكبرى التي ستواجه الدولة العثمانية وهي ناتجة عن الهجرة الشركسية بأعدادها الضخمة، وهي (توطين الشركس والأماكن الأمتل لتوطنهم).

وتشير الدلائل إلى أن الدولة العثمانية قامت بنقل الشركس من أماكن هجرتهم على شاطئ البحر الأسود إلى أماكن استيطانهم الجديدة، وبالتدريج تم نقلهم إلى مناطق مختلفة داخل الدولة، وخاصة إلى شبه جزيرة البلقان، وقد استقرت أعداد كبيرة منهم في بلغاريا، وعلى طول الحدود الصربية، ولاشك أن متطلبات تسكينهم أدت إلى زيادة الأزمة المالية والاجتماعية في الدولة⁽⁴³⁾، أضف إلى ذلك أنه تم وضع هؤلاء الشركس في شروط غير طبيعية فلم يحصلوا على أراض للبناء ولا على مساعدات لمتابعة الحياة⁽⁴⁴⁾.

ومع الإمكانيات الضعيفة للدولة، فلم يستطيع العثمانيون فعل أي شئ آخر للمهاجرين إلا بعثرتهم في كافة أنحاء الدولة، واستمرت وفيات الشركس من دون أي انخفاض بينما أرسلهم العثمانيون لإعادة توطينهم، أظهرت سجلات الوفيات معدل وفيات بسبب المرض على سفن النقل يصل إلى حد الثلث، وأحيانا أكثر، وفقا لأحد التقارير، وضعت مجموعة مؤلفة من 2718 شركسيا على سفينة في سمسون متوجهة إلى قبرص، مات 202 بين سمسون واستانبول، حيث غادر السفينة 528؛ وتابع 1988 الرحلة إلى جزيرة قبرص، مات منهم 637 في أثناء الرحلة، ويأتي تقرير آخر من قبرص أيضا مصير حمولة السفينة من الشركس المذكورين آنفا : يتوقع أن يموت نصف الذين هبطوا من السفينة، وفي الحقيقة تراوحت الوفيات اليومية من 30 - 50 ضحية⁽⁴⁵⁾. ويجب أن نعي هنا أن ساعد بشكل أو بآخر على انتشار الأمراض والأوبئة في مناطق استيطان الشركس داخل الأراضي العثمانية، مما وضع الدولة في أزمة توفير الأطباء والأدوية وهي تعاني من قلة الإمكانيات، وذلك لسوء الأحوال المالية والاقتصادية للدولة العثمانية في مجمل القرن 19م.

وفي نفس الصدد، فقد أجبرت الدولة العثمانية الشركس على الاستيطان في مناطق ذات نزعة طائفية وكثيرة التمرد، لذلك قامت الدولة بتحديد أماكن إقامتهم الجديدة وفقا للمصالح السياسية للدولة العثمانية ؛ فعلي سبيل المثال : وطن الشراكسة في المنطقة الفاصلة بين الدولة والأكراد، وذلك لمنع الاحتكاكات والمصادمات التي كانت تقع بين الأتراك والأكراد، أما في البلاد الواقعة تحت السيطرة العثمانية وحتى نهاية القرن 19م مثل سوريا والأردن ؛ فقد وطنوا أيضا بين العرب والترك⁽⁴⁶⁾.

وعلى أية حال، فقد قامت الحكومة العثمانية في استانبول باستخدام الشركس ضد شعبها نفسه ؛ حيث وطنت هذه الحكومة عدا كبيرا منهم في منطقة مرمرة من أجل أن تمنع وصول التمرد الذي حدث في الأناضول إلي استانبول، أما في بلاد البلقان فقد صنعت هذه الموقف نفسه، إلا أن الهدف قد اختلف تماما ؛ حيث قامت الحكومة العثمانية بتوطيني الشراكسة بين المسلمين والرايا المسيحيين⁽⁴⁷⁾، ومن الملاحظ هنا ، أن الشركس كانوا مجبرين على محاربة السكان المحليين (الكفار) في نظرهم وصبوا كل المقت الذي تجمع لديهم ضد الروس الكفار الذين طردوهم من وطنهم على الكفار أقارب الرس - الشعوب السلافية في البلقان، وقد شكلوا فرق عسكرية أذاقت الولايات للشعب البلغاري⁽⁴⁸⁾ وباختصار فقد استخدمت الدولة العثمانية الشعب الشركسي كدروع بشرية غاية في القوة والصلابة أمام أي تمرد وعصيان في البلقان و أو خطر الكرد، وبالفعل نجح هذا الحل ولفترة طويلة معظم فترات القرن 19م.

ومما سبق يتضح أن، حياة الشركس دخل الأراضي العثمانية تحولت إلي حياة لا تطاق، وبمعني آخر أن معيشة الشركس داخل الدولة العثمانية تساوي الانتحار، بسبب قلة الإمكانيات بكافة أنواعها. وفي السياق ذاته فقد هاجر نصف مليون آخر في ما بين عام (1881 - 1914م)، وإذا خشيت بطرسبرغ أن يشكل هؤلاء المهاجرون خطراً أمنياً، وطلبت من استانبول توطينهم في أقاليم بعيدة عن الحدود، وهكذا وجد الشراكسة أوطانا جديدة في أماكن مثل حلب وبورصة، وعلى امتداد السكك الحديدية التي امتدت بين استانبول وأنقره وقونيه، وحصل آخرون على أراض غير مزروعة على امتداد حدود المستوطنات في الأقاليم السورية، وقد تمت إعادة توطين خمسة وعشرين ألف عائلة على الأقل في ولاية دمشق بين عام (1873 - 1906م)، ومنحت الحكومة المهاجرين الشركس هبات من الأراضي والأدوات والبذور⁽⁴⁹⁾.

علاوة على ما تقدم، فقد صار هؤلاء المهاجرون الشركس عاملا مهما في الانفجار الزراعي الذي صاحب بناء سك حديد الأناضول واستصلاح أراض جديدة ببلاد الشام، وفي هذه المناطق وغيرها، وقد جلب الشركس تقنيات وأساليب زراعية جديدة وكانت حافزا قويا لتحسين الزراعة في أواخر القرن 19م، و على الرغم من ذلك، استمرت التوترات في مناطق نائية مثل سمسون والبحر الأسود وفلسطين بين الشركس والسكان المحليين على مدي عدة عقود⁽⁵⁰⁾. ويعود ذلك التوتر إلي الطبيعة القاسية التي يعيشها و يتمتع بها الشركس، مما زاد من حدة التوتر.

والراجح هنا، أن الشركس قد تعرضوا لأمراض فتاكة في المناطق الموبوءة التي خصصت لهم أو الموت في ساحات القتال في بلاد البلقان، بسبب المهمات المخولة لهم من قبل السلطات العثمانية للقضاء على أي تمرد وعصيان في تلك المناطق.

وعلى نحو آخر، كان لتدفق مئات الآلاف من المهاجرين الشركس تأثير كبير بطبيعة الحال في حياة أولئك المقيمين أصلاً في الدولة العثمانية، كان التأثير الفوري الأكبر هو انتشار الأمراض المعدية في موانئ البحر الأسود الخاصة لاستقبال المهاجرين في الأراضي العثمانية، وفي طربزون جلب الشركس معهم التيفوس⁽⁵¹⁾، وبلغت الأوضاع حداً من سوء جعلت السكان كافة يفرون من المدينة إلي حين كانت التجارة مشلولة على نحو كامل والخبز غير كاف، كان الخبز المتوافر حتى أقل منه في الأوقات العادية في مسمون، حيث أغلق جميع الخبازين أفرانهم وفروا من التيفوس والجذري اللذين جلبهما الشركس مع هجرتهم⁽⁵²⁾. وتشير الدلائل أن معدل الوفيات الناجمة في المدن التي هاجر إليها الشركس، قد أثرت بالفعل على الحياة الاجتماعية والصحية، وغير ذلك فقد أثارت أيضاً الاستنفار العام داخل تلك الأراضي والولايات العثمانية.

وتذكر أحد الإحصاءات معدل الوفيات الناجمة عن الأمراض المعدية التي اصطحبها الشركس في مدينة طربزون، بين شهر ديسمبر وفبراير من عام 1864م، أن السكان المحليين مع أنهم لم يعانون وفيات تحجم وفيات المهاجرين، لكن بقوا فرعين داخل منازلهم خوفاً على أرواحهم⁽⁵³⁾.

عدد الوفيات الناجمة عن الأمراض في طربزون

من 1 ديسمبر عام 1863م وحتى 17 فبراير عام 1864م⁽⁵⁴⁾.

3000	المهاجرون (الشركس)
470	الأتراك المحليون
36	اليونانيون المحليون
17	الأرمن المحليون
9	الكاثوليك المحليون
6	الأوروبيون
3538	الإجمالي

ومن الملاحظ من الجدول السابق أن أعداد الوفيات في تلك الفترة الصغيرة نسبياً، عدد ليس قليل مما يدل على شدة الأزمة.

وقد كانت تشاهد معدلات وفيات مماثلة لمقيمين أصليين مسلمين حيثما جرت إعادة توطين الشركس، في البداية جري إيواء المهاجرين معاً في مخيمات وأبنية رسمية وتجارية، وجري توزيعهم بعد ذلك على كل الأرياف ينشرون الأمراض التي التقطوها في المخيمات، حيث وصل 2000 مهاجر

من الشركس الذين انتشرت بينهم الإسهالات والتيفوس إلى عاشق(Ushak) ' وجري إيوأؤهم في البداية في فنادق وفي مساكن السكان الأصليين المكتظة، وجري بعد ذلك توزيعهم ضمن القرى في شمال شرق المدينة، ونتيجة لذلك أدى احتكاكهم بالسكان إلى ظهور أعراض معوية ثم إلى التيفوس، ونقل 500 مصاب من المسلمين مات منهم 200 ؛ و 100 مسيحي مات منهم 20 فقط⁽⁵⁵⁾.

أضف إلى ذلك، أن وباء الملاريا قد انتشر في معظم أراضي الأودية النهرية بغرب الأناضول، وكانت هناك مستنقعات تنتشر فيها الملاريا، وهي محظورة ومتروكة بدون استخدام⁽⁵⁶⁾، والشاهد من المصادر أنه، وفي أواخر القرن 19م تشير أن الملاريا قد قضت على أعداد كبيرة، بحيث قتلت من السكان المهاجرين من الشركس في إقليم أضنه، وأزالت بعض مستوطنات المهاجرين عن بكرة أبيهم⁽⁵⁷⁾. وهذا يؤكد المعلومات سالفة الذكر عن توطين الشركس في أماكن غير جيدة مثل أماكن المستنقعات، والصحاري القاحلة ، وهذا ما وضعهم في ضغوط مستمرة.

والوضاح أنه وعندما خفت حدة هذه الهجرات، حفت معها حدة انتشار الأمراض مثل التيفوس والجدي وغيرهم من الأمراض المعدية التي حصدت كثير من المهاجرين ومن السكان الأصليين في أماكن توطينهم.

والراجح هنا أنه لم يكن لدى العثمانيين موارد مالية أو طاقة بشري إدارية ليشرفوا على توطين القادمين الجدد ؛ لذلك كان الأمر معهوداً به إلى الإدارات المحلية لتقدم الإمدادات اللازمة للمرسلين إليها، جري بناء المساكن وتقديم الحبوب، من خلال عمل ونفقة القرويين، ولابد أن الأمر بدا لهم وكأن المطلوب منهم أن يدفعوا ثمن معاناتهم الشخصية، إذ انتشر نبأ السلب من جانب الشركس بسرعة، وطبعاً كان هناك استياء من أي دفعات إضافية جري انتزاعها من الفلاحين، لكن الدفع للذين كان هناك سبب للخوف منهم، والذين يجري توطينهم بالقرب منهم، لابد وأنه بدأ مفرطاً حتى لدى القرويين الأناضوليين والبلغار والسوريين الذين عانوا طويلاً وجرت إعادة توطين الشركس عندهم⁽⁵⁸⁾. لذلك قلة التجارة بين العثمانيين وسكان بلاد القفقاس، حيث كانت التصرفات السورية عنيفة وقاتلة، دمر الروس القوارب الساحلية العثمانية، مما سبب ضرر كبير في تجارة المسلمين الشرس والعثمانيين، وفرض ضرائب غير قانونية على تجار عثمانيين يقيمون في مدن على طول ساحل البحر الأسود، فكان بذلك الأثر السلبي الكبير الذي لحق بالاقتصاد العثماني⁽⁵⁹⁾.

وبعد أن استقر الشركس بسرعة في الحياة الاعتيادية للدولة العثمانية، وقد ذهبوا إلى المزارع التي وفرتها الحكومة العثمانية وشرعنا في أسلوب حياتهم الزراعية من جديد، وكانت لغتهم وعاداتهم تختلف قليلاً عن أمثالهم من العثمانيين لكن تم استيعابهم، ولم يكن الشركس ناطقي بالتركية لكن وفي النهاية تم منح معظمهم أراضي خصبة في البلقان وغربي الأناضول، وبعض منهم جري توطينهم في أمكنة لا يتيسر العيش فيها إلا بشق الأنفس ، ولجئوا إلى الإغارة وسيلة للرزق، وعاني نهبيهم كل من كان حولهم، مسيحيين ومسلمين على السواء⁽⁶⁰⁾.

لكن لم ينعم الشركس كثيرا في الأراضي الخصبة في البلقان، ففي عام 1878م حصل الأفلاق والبلغدان⁽⁶¹⁾ على استقلالهم مما تسبب في إعادة توطين الشركس والنوغي⁽⁶²⁾ وغيرهم في غربي ووسط الأناضول، مما تسبب في أزمة جديدة للدولة العثمانية⁽⁶³⁾.

من الواضح أن وجود الشركس في شرقي الأناضول كان مثيراً للفوضى، حيث جري الوصول إلي تسوية مؤقتة مضطربة بين الكرد والأرمن والحكومة العثمانية، ويدخل الآن عنصر جديد غير قادر على أن يُدخل نفسه بسهولة في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، كان الشركس الذين وصلوا إلي الشرق العثماني هم كل ما تبقي من شعبهم، خشتهم حروبهم مع الروس، كانوا معدمين إلي حد مخيف، وليست مفاجأة أنهم دفعوا إلي النهب في سبيل بقائهم، وهم شعب ذو مبادئ بعد الاطلاع على حياتهم المألوفة، لكن هاجم بعض اللاجئين الشركس قري مسلمة ومسيحية وأقدموا على نهبها وقيل أن الكرد يخشون الشركس، وقامت الدولة العثمانية بعض من جنودها لنزع أسلحة النهابين الشركس بنجاح محدود، مع هذا فإنهم كانوا قلة، وقامت الدولة بالسيطرة عليهم⁽⁶⁴⁾.

وفي الصدد نفسه، افسد نقل أعداد كبيرة من الشركس إلي شرقي الأناضول التوازن العرقي التقليدي في المنطقة، حتى أن بعض المناطق أصبح الشركس فيها أكبر جماعة بين السكان، وقدر القنصل البريطاني في طربزون أعداد سكان مناطق أستوطن فيها مهاجرون مسلمون من الشركس، مع أن أرقامه كانت أكثر قليلا من تخمينات تقريبية، فإنها تدل على التغيرات السكانية الناجمة من المهاجرين الشركس⁽⁶⁵⁾.

وفيما يأتي جدول يوضح إعداد سكان في قضاء جهارشنبه :

عدد سكان قضاء جهارشنبه نحو عام 1880م

تقديرات القنصل البريطاني في طرابزون " بيليوتي "⁽⁶⁶⁾.

الأسر	العدد
مسلمة أصلية	3000
يونانية	716
أرمنية	1828
شركسية	5000
أبخازية	130
لازية	149

ويوضح الجدول العدد الكبير للشركس بعد توطينهم من قبل الدولة العثمانية في قضاء جهارشنبه، ويظهر ذلك مدي الأزمة في توطين عددهم الكبير.

استغل الروس الوضع السيئ التي كانت تعاني منه الدولة العثمانية طول القرن 19م، فقد انتقل الوضع من كونه حروب بين الطرفين إلي ضرب الدولة في نظامها الاجتماعي شبه المستقر، حتي قامت روسيا بالضغط على الدولة العثمانية عن طريق إحداث أزمة وتدهور ديموغرافي داخل أراضيها، لتجعلها متخبطة وذات أزمات طويلة الأمد، لتصل روسيا إلي هدفها ومبتغاها في احتلال الأراضي التي تملكها الدولة العثمانية في البلقان.

وكان ينبغي على الدولة العثمانية إحداث حلول للوصول إلي التوازن التقليدي، لكن ما حدث هو تدهور عام في النظام المدني في معظم المناطق التي سكنها واستوطنها الشركس. ولا نزاع في أن، الأزمات الاجتماعية والاقتصادية من أخطر الأزمات التي تعرضت له الدولة العثمانية، فهي أزمات تتخر في جسد الأمة الواحدة، فقد حارب العثمانيون الأزمات خشية منها على رعاياها، ويزيد على ذلك التدهور الديموغرافي الذي أصاب الدولة سواء بسبب الحروب أو بسبب الهجرات الداخلية والخارجية إلي أراضيها، وما كانت تعاني منه الدولة هو نقص الإمكانيات والقدرات المالية بسبب حروبها الكثيرة وفقدانها كثير من أراضيها في البلقان مما زاد من الأزمة الراهنة أكثر وأكثر، وما كانت تمارسه روسيا من ضغوط عسكرية واقتصادية واجتماعية، اجتمعت تلك الظروف لأحداث خلل وتدهور العنصر السكاني خاصة بعد التهجير القسري للشركس على يد الروس، والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية بذلت كل ما بوسعها لاحتواء أعداد المهاجرين، لكن الأعداد كانت أكبر من النظرة البسيطة التي نظرها العثمانيون للتدهور الديموغرافي داخل الأراضي العثمانية.

الهوامش:

(1) بطرس الأكبر : ولد هذا الإمبراطور الشهير عام 1672م، وتولي الملك 1682م فنازعه أخوه الأكبر (إيوان) وأخته صوفيا وفي عام 1689م اشتغل بالملك بعد استقالة إخيه وحجز أخته في أحد الأديرة ومن ذلك الحين أخذ في إصلاح داخلية ثم سافر إلي ممالك أوروبا عام 1697م النظر في نظاماتها وتقليد ما ينطبق منها على عوائد بلاده وعاد إلي موسكو بعد عام وأبطل جيش (الاسترلتز) الذي كان أشبه بعساكر الانكشارية وجماعات المماليك بمصر وأسس مدينة سان بطرسبورج ونقل إليها عاصمته، وحارب شارل الثاني عشر ملك السويد ومملكة العجم وأخذ منها عدة ولايات مهمة وتوفي في 8 فبراير عام 1725م وخلفته زوجته كاترينة الأولى. انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: احسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1981م، ص 308.

(2) على محمد كشت: الصراع الداخلي في منطقة شمال القفقاس الشركسية " دراسة وتحليل " (1991 - 2007م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، 2009م، ص16.

(3) نفس المرجع والصفحة.

(4) القرم : تأسست خانبة القرم حوالي عام 1430م على يد الحاج جيراوي، وكانت حدودها تصل إلي أسفل نهر الدون شرقا وإلي أسفل نهر الدنيبر غربا، وإلي الشمال امتدت إلي يلتس Yelets وتمبوف Tambov وفي عام 1454م أسس الحاج جيراوي عاصمتها بهجة سراي الواقعة جنوب شبه جزيرة القرم، وظلت أسرة جيراوي تحكم الخانبة وتدين بالولاء بالتبعية للدولة العثمانية إلي أن سقطت في عام 1771م في يد روسيا التي ضمتها نهائيا عام 1783م، ولما كانت أسرة جيراوي شديدة التمسك بالإسلام فإنها فرضت على شبه الجزيرة طابعا إسلاميا قويا ما لبث أن تلاشي بعد أن ضمت

- روسيا شبه الجزيرة، وقبل الضم كان السكان يتحدثون التركية : انظر : أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط3، القاهرة، 2003، ص 11-12.
- (5) أمين سمكوغ: تاريخ الشراكسة، دار دمشق للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1984م، ص66؛ أكمل الدين احسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح السعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2011م، ج1، ص75.
- (6) على كشت: المرجع السابق، ص18.
- (7) أمين سمكوغ: المرجع السابق، ص68.
- (8) نفسه، ص70.
- (9) على كشت: المرجع السابق، ص19.
- (10) نفسه، ص19 - 20.
- (11) يا. أبراموف: القوقازيون الشراكسة، ترجمة: زهدي سطات، راتب سطات، منشورات اللجنة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية، (د.ت)، ص9 ؛ على كشت: المرجع السابق، ص21.
- (12) نفسه، ص22 - 23.
- (13) نفسه، ص23 ؛ يا. أبراموف: المرجع السابق، ص9.
- (14) على كشت: المرجع السابق، ص25.
- (15) نفسه، ص27.
- (16) نفسه، ص29 - 30، 32.
- (17) نفسه، ص31 - 33؛ محمود شاكر: قفقاسيا، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1972م، ص26-27.
- (18) يا. أبراموف: المرجع السابق، ص10.
- (19) على كشت: المرجع السابق، ص33 ؛ يا. أبراموف: المرجع السابق، ص10.
- (20) جستن مكارثي: الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين (1821 - 1922م)، ترجمة: فريد الغزوين قدس للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص42 - 43.
- (21) أمين سمكوغ: المرجع السابق، ص84 ؛ يا. أبراموف: المرجع السابق، ص20.
- (22) أمين سمكوغ: المرجع السابق، ص84 ؛ على كشت: المرجع السابق، ص34 ؛ يا. أبراموف: المرجع السابق، ص20 - 21.
- (23) نفسه، ص35؛ رأفت الشيخ، محمد رفعت: آسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، دار عين، ط2، القاهرة، 2001م، ص286؛ أحمد موسى الشيشاني: حرب القوقاز الأولى، رابطة العالم الإسلامي، ع152، الرياض، 1415هـ، ص170؛ محمد حرب: المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ط1، القاهرة، 1993م، ص103.
- (24) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص58 - 59.
- (25) نفسه، ص59 - 60.
- (26) طربزون Trabizoun: هي ولاية عثمانية تبعد عن البحر الأسود 100 كم، وهي مركز تجاري مهم للدولة وفتحها العثمانيون عام 1460م. انظر: مستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحات، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2002م، ص345.
- (27) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص60.

- (28) نفسه ، ص 60 - 61.
- (29) نفسه، ص 61.
- (30) يا. ابراموف: المرجع السابق، ص 23 - 24.
- (31) أنابا نوفورسيسك: هو ميناء مهم على البحر الأسود.
- (32) يا. ابراموف: المرجع السابق، ص 23.
- (33) نفسه، ص 22.
- (34) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 61 - 62.
- (35) خليك إينالجك: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المدار الإسلامي، ط 1، بيروت، 2007م، ج 2، ص 538.
- (36) يا. ابراموف: المرجع السابق، ص 24.
- (37) يا. ابراموف: المرجع السابق، ص 25.
- (38) الإسقربوط: مرض يصاب به الإنسان عند تناقص تناوله من الأطعمة التي تحتوي على فيتامين C.
- (39) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 62.
- (40) على كشت: المرجع السابق، ص 37.
- (41) يا. ابراموف: المرجع السابق، ص 26.
- (42) نفس المرجع والصفحة.
- (43) عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 178؛ ماجدة مخلوف: تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني. " رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلى السلطان عبد الحميد الثاني"، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2009م، ص 60؛ جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 62 - 63.
- (44) يا. ابراموف: المرجع السابق، ص 25.
- (45) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 63.
- (46) خيرى أرصوي، آيصوص قاماجي: تاريخ الشراكسة (الأباضية)، ترجمة: فؤاد أحمد كامل، المشروع القومي للترجمة، ط 1، القاهرة، 2006م ص 116؛ أحمد موسى الشيشاني: المرجع السابق، ص 170.
- (47) خيرى أرصوي، آيصوص قاماجي: المرجع السابق، ص 116.
- (48) يا. ابراموف: المرجع السابق، ص 25.
- (49) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج 2، ص 538 - 539 وعند النظر لعمل الشركس، فقد عملوا في تربية الأغنام والماعز والبقرة والثيران والخيول، وارتبطت حياتهم بالطبيعة الزراعية وتربية الحيوانات، فساعدتهم ذلك على التأقلم في أشد الظروف القاسية داخل الدولة العثمانية. انظر الشعوب الإسلامية في القفقاس وروسيا وآسيا الوسطى، ترجمة: طه عبد الواحد، منشورات دار علاء الدين، ط 2، دمشق، 2009، ص 105.
- (50) خليل إينالجك: المرجع السابق، ج 2، ص 539.
- (51) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 63؛ خليل إينالجك: المرجع السابق، ج 2، ص 530.
- (52) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 63.
- (53) نفس المرجع والصفحة.
- (54) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 64.
- (55) نفسه، ص 64 - 65.

- (56) خليل إينالجيك: المرجع السابق، ج1، ص 88.
- (57) نفسه، ج2، ص 530.
- (58) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 65.
- (59) نفس المرجع والصفحة.
- (60) نفسه، ص 66.
- (61) الأفلاق والبغدان: رومانيا حالياً.
- (62) النوغاي: هم جنس من المغول الذين تمركزوا واستوطنوا القوقاز جنوب شرق روسيا وهم من أكبر قبائل الشراكسة وكلهم من المسلمين. انظر : ماجدة مخلوق : تحولات الفكر والسياسة في التاريخ العثماني "رؤية أحمد جودت باشا في تقريره إلي السلطان عبد الحميد الثاني"، دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة، 2009م، ص60.
- (63) خليل إينالجيك: المرجع السابق، ج2، ص 538.
- (64) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 76 - 77.
- (65) جستن مكارثي: المرجع السابق، ص 77.
- (66) نفسه ، ص 78.